آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
السنة العشرون، العدد الثاني، الخريف والشتاء ١٤٣٨ هـ .ق، ١ – ٢٣

ثورة الشهيد زيد بن علي (رض)

دراسة في الأسباب والنتائج

رحيم حلو محمد البهادلي*

كوثر ماجد عبد علي العطواني**

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة سيرة الشهيد زيد بن علي بن الحسين (ع) وثورته التي قام بها بوجه طغاة الأمويين وقد حاولنا قدر الإمكان تتّبع الأسباب الحقيقية التي أدّت إلى قيام زيد بثورته في الوقت الذي نعرف إنّ المصادر أوردت أسباب كثيرة حول اندلاع تلك الثورة، وبيّنا أيضاً متداخلات تلك الثورة وما نتج عنها في الكوفة بوجه خاص والعالم الإسلامي بوجه عام معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي . التحليلي وعلى طيف واسع من المصادر والمراجع الإسلامية لغرض إعطاء صورة واضحه حول تلك الثورة لرفد المكتبة العربية بما هو أصيل وجديد. والهدف الذي نروم التوصّل إليه في هذه الدراسة هو البحث عن أسباب هذه الثورة ونتائجها حيث اختلفت الأقوال في هذا الجانب، فهناك من يشير أن زيد بن علي خرج بثورة ضد الأمويين طلبا للسلطة، في حين واقع الأمر أنّ زيد خرج لأهداف أسمى من السلطة، إذ خرج زيد طلبا للإصلاح وثأرا لدم الإمام الحسين (ع) ولغرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك.

الكلمات الرئيسة: دراسة تاريخية، زيد بن علي، الثورة، الأسباب.

---

* أستاذ في كلية التربية، جامعة البصرة، العراق، rahiemhiloo@yahoo.com

* باحثة في الفكر الإسلامي

تاريخ الوصول: ١٣٩٦/٨/١٩، تاريخ القبول: ١٣٩٦/١٠/٢٣

١. المقدمة

لا شك أنّ الدولة الأموية جوبهت بموجة كبيرة من الثورات المناهضة لها ولسياستها في الرعية، فكانت هناك ثورات العلويين وشيعتهم كثورة الإمام الحسين (ع) وثورة التوابين وثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهناك ثورات الموالي، وثورة عبد الرحمن بن الأشعث، ناهيك عن ثورات الخوارج التي شكّلت معولاً هداماً في سقوط الدولة الاموية، وتكاد تلتقي تلك الثورات في هدف واحد وهو رفض وجود الواقع الأموي متحكما في رقاب المسلمين.

وكانت ثورة زيد بن علي حلقة من تلك السلسلة من الثورات المناهضة للحكم الأموي، إذ لا شك انّصفات القيادة والحكمة قد اجتمعت في زيد ليقوم بثورة ضد الأمويين رافضاً تحكمهم على رقاب المسلمين، وقد ساعده في قيام تلك الثورة حماسة أهل الكوفة الذين انخرطوا تحت لوائه لمناهضة الحكم الأموي الجائر، ومع فشل تلك الثورة الّا أنّها فيما يبدو تركت أثراً كبيراً في نفوس العلويين وشيعتهم وأعطتهم الحماسة ليعاودوا الكرة مرة أخرى في خراسان تحت قيادة ولده يحيى بن زيد والذي تُعدّ ثورة إحدى نتائج ثورة أبيه زيد. وإنّنا في هذه الدراسة سلّطنا الضوء على أهمّ نتائج هذه الثورة والنتائج التي خلّفتها. وزيد هو مهجة الرسول (ص) وفلذة كبده فهو ابن أمام الساجدين وزين‌العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) (الطبري: ٢٠٠٨: ج ٧، ١٠٩)، ينتسب من قبل أبيه إلى وصي رسول رب العالمين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وجدته الزهراء البتول فاطمة بنت رسول الله (ص) فهو ذو نسبٍ شريف رفيع الشأن لا يساويه نسب آخر (ابن سعد، د.ت: ج ٥، ٣٢٥).

١.١ أسئلة البحث

إنّنا في هذا البحث نسعى أن نجيب عن الأسئلة التاليّة:

١. ماهي الأسباب التي دفعت زيد بن علي للقيام بالثورة؟ وماهي أهمّ نتائج هذه الثورة؟

٢. ما هو هدف زيد بن على من هذه الثورة؟

٢.١ خلفية البحث

هناك عدّة دراسات عن الشهيد زيد بن علي (ع) منها مثلاً كتاب مشروعية الثورة عند أهل البيت لنوري حاتم وكتاب زيد بن علي لناجي حسن وأيضاً نذكر كتاب الإمام زيد لمحمد أبو زهره وزيد بن علي لرافد التميمي، فعلى الرغم من تلك الدراسات إلّا إنّنا لم نجد فيها دراسة أكاديمية وافية تبحث في الأسباب المشجّعة على القيام بالثورة والنتائج المتمخضة عنها بل كانت تتحدّث بشكل عام عن شخصية الإمام زيد مع الاشارة إلى مجريات ثورته.

٢. أسباب الثورة

١.٢ طلب الاصلاح

عرف الأمويين بعدائهم للإسلام فقد كان إسلامهم ظاهرياً لم يصل إلى أعماق قلوبهم، مخاصمين للنبي محمد (ص) فقد خاطب أبو سفيان بني حرب أمام عميدهم وشيخهم عثمان بن عفان قائلاً: «تلقفوها يابني أمية تلقف الكرة بأيدي الصبيان، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار» (ابن أبي الحديد، ٢٠٠٧: ج ٩، ٣٨)، وهذا يمثّل منطق الكفر والإلحاد.

سار معاوية بن أبي سفيان على نهج والده في العداء للنبي (ص) والعترة الطاهرة، فقد أشار عليه المغيرة بن شعبة بصلة بني هاشم بعد أن تولى الحكم فرد عليه بعنف «هيهات، هيهات» (يونس، ٢٠٠٢: ٢٨٨)، وأعقب كلامه قائلاً: «أن أخا هاشم – يعني النبي (ص) – يصرخ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أنّ محمداً رسول الله، فأيّ عمل يبقى بعد هذا؟ لا أم لك إلا دفناً دفناً» (ابن أبي الحديد، ٢٠٠٧: ج ٩، ١٢٩). أليس هذا هو الكفر والمروق من الدين؟ أليست هذه هي الجاهلية بعينها؟ فلو أمعنا النظر في حكّام بني أمية لوجدنا أن كل واحد منهم كان محباً للسلطة وللدنيا مبغضاً للرسول (ص) والعترة الطاهرة استناداً إلى ما ذكرهُ المؤرخين من قول يزيد بعد قتله لسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (ع) (ابن الجوزي، ٢٠٠٤: ١٤٨):

لعبــت هاشِــمُ بالمــلك فــلا خــبرٌ جــاء ولا وحــيٌ نــزل

وكذا حال الوليد بن يزيد يقول في شعره (ابن الأثير، ٢٠٠٤: ج ٤، ٢٦٥):

أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر (كنية هشام بن عبد الملك)

نشــــربها صــــرفاً وممزوجــــةً بالســــخن أحــــياناً وبالفــــاترِ

ومما أشتهر عنه أنّه فتح المصحف فكانت الآية: «واستفتحوا وخاب كلُ جبارٍ عنيد» (إبراهيم: ١٥)، فغضب ورمى المصحف بالسهام وانشد (ابن الأثير، ٢٠٠٤: ج ٤، ٢٦٥):

تهــــددني بجبــــار عــــنيدٍ فهــا أنــا ذاكَ جبــارٌ عنيــد

إذا مـا جئـت ربـك يـوم حشـرٍ فقــل يــارب مــزقني الوليــدُ

كان رسول الله (ص) يُسب في مجلس هشام بن عبد الملك وكان زيد حاضراً فصاح به، فنهره هشام بقوله: «مهلاً يازيد لاتؤذ جليسنا» (العاملي، ٢٠٠٠: ج ١١، ٢٨).

كان هدف الحكم الأموي من كل ذلك القضاء على الإسلام وتشويه الفكر الأصيل واستعباد الناس وتفشي الظلم والفساد، فكان ذلك نهج الأمويين وولاتهم في الكفر بالله تعالى ومعاداة الرسول (ص) وآل بيته الأطهار (ع)، لذا أصبح من الواجب الخروج على الأمويين ولو سكت العلويين على ذلك ولم يبدوا أية معارضة للحكم الأموي، حينها كيف سيكون مصير الإسلام والمسلمين؟ وهذا ما يفسّر قيام ثورات العلويين في كلّ مكان وفي كلّ بلد من بلاد المسلمين.

كان ذلك من العوامل التي حفّزت زيد لإعلان الثورة على الأمويين لإصلاح المسلمين كونه أحد أهمّ دوافع الثورة العظيمة مؤكداً ذلك بقولة: «والله لوددت أنّ يدي ملصقة بالثريا ثم أقع فأتقطع قطعة قطعة ويصلح الله تعالى بذلك أمر أمة محمد (ص)» (الإصفهاني، ٢٠٠٦: ١٢٦).

٢.٢ معاداة أهل البيت (ع)

تمثل الخط السياسي للأمويين بمعاداة أهل البيت (ع) والحط من شأنهم مستخدمين شتى

الطرق والوسائل التي كانت منها سب الإمام علي بن أبي طالب (ع) حتى جعله معاوية بن أبي سفيان سنّة من سنن الإسلام ووسيلة لدعم سلطانه (الهيتمي، د.ت: ٨٢)، خاصةً عندما رجع إلى الشام بعد صلح الإمام الحسن بن علي (ع) قام خطيباً بين أهل الشام وقال: «أيها الناس، إنّ رسول الله قال لي: إنك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدسة – أي الشام – فإنّ فيها الأبدال، وقد اخترتكم فلعنو أبا تراب» (البلاذري، ١٩٩٦: ج ٣، ١٢٦) فأخذ الشاميون والحكام الأمويون وولاتهم يلعنون الإمام علي (ع) على المنابر (الشامي، ١٩٧٤: ٩٣).

لو أمعنا النظر فيما يدعي معاوية بن أبي سفيان نجد أن قوله افتراءً على الرسول الكريم (ص) بدليل قوله: «من سبَّ علياً فقد سبني ومن سبني فقد سبَّ الله ومن سبَّ الله أكبة الله تعالى على منخريه في النار» (الهيتمي، د.ت: ٨٣)، وعنه أيضاً (ص): «ياعلي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» (ابن ابي الحديد، ٢٠٠٧: ج ٤، ٧٤) والمعروف أنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

وعلى أية حال فقد امتلأت قلوب العلويين أسىً وحزناً على ما اقترفه الأمويون من الظلم والاعتداء على أمير المؤمنين (ع)، وكان الشهيد زيد يحترق شوقاً إلى الشهادة لمناهضة الحكم الأموي الذي حارب الإسلام وقيمه وأهدافه السماوية.

٣.٢ الثأر لدم الإمام الحسين (ع)

تفجّرت حركات عديدة في الساحة الإسلامية بعد مقتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ووجوب معاقبة المشاركين في جريمة قتل الإمام الحسين (ع) فكانت ثورة زيد بن علي (ع). من أهمّ تلك الثورات التي استهدفت الثأر لدم أبي الأحرار الإمام الحسين (ع) ولكن ليس من المسؤولين المباشرين عن الجريمة وإنّما من خلال الإطاحة بالحكم الأموي الذي صنع مأساة كربلاء (الحائري، ١٤٢٥: ١٤٢)، فالقضاء على هذا النظام الذي يحمل وزر الجريمة يمثل أنتصاراً لدم الإمام المظلوم فالأسرة الأموية هي المطلوبة بدماء العترة الطاهرة فقد قرّت عيونهم وامتلأت نفوسهم فرحاً بإبادة آل النبي (ص).

من أجل الدم المطلول في صعيد كربلاء رفع الشهيد الثائر شعاراً باسم «يالثارات الحسين» (المجلسي، ٢٠٠١: ج ١٩، ١١٠) ليأخذ بثأر جده المظلوم من الشجرة الملعونة (الحائري، ١٤٢٥: ١٤٢)، ويطهر الأرض من هؤلاء الأرجاس الذين عاثوا في الأرض فساداً وتبنوا كل ما حرم الله تعالى من فواحش وإثم.

وهو القائل «إنما خرجت على الذين قاتلو جدي الحسين» (العاملي، ٢٠٠٠: ج ١١، ٢٦)، ثارَ الشهيد الخالد من أجل أن يقيم المثُل العليا والقيم الكريمة التي استشهد من أجلها جده العظيم ويحقّق جميع ما كان يصبوا إليه من إقامة العدل ونشر الحقّ بين الناس (الشامي، ١٩٧٤: ٨٤).

٤.٢ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كان الإمام زيد (ع) يؤمن بوجوب تصحيح الانحراف بالقوة إذا لم يكن هناك سبيل غيره (المجلسي، ٢٠٠١: ج ١٩، ١١٧)، الأمر الذي دفعه للخروج ضد هشام بن عبد الملك بدوافع تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجاهدة الحكام الجائرين (ابن شهر آشوب، د.ت: ج ١، ٣٢٠) بعد أن شاعت المحرمات والفسق والفجور في عصر بني أمية (يونس، ٢٠٠٢: ٥١).

أكّد الرسول الكريم (ص) على الخروج ضد السلطان الجائر والمخالف لسُنَتهِ ولأوامر الله تعالى ونواهيه بقوله: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباده بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخل مدخله» (حاتم، ١٩٩٥: ١٠٤).

كان هذا أحد العوامل الكامنة في نفس زيد فأراد بخروجه رفع المظالم الواقعة على الناس وإعطاء المحرومين والدفع عن المستضعفين (المجلسي، ٢٠٠١: ج ١٩، ١١٨) والعدل في قسمة الفيء خاصةً الموالي الذين كانت الجزية تبقى مفروضة عليهم حتى بعد اعتناقهم الدين الإسلامي (ابن خلدون، ٢٠٠٣: ج ٣، ١١٨).

ورويَ عن زيد بن علي (ع) في مسنده عن رسول الله (ص) انه قال: «لا خير في أمة لاتأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر ...» (زيد بن علي، ١٩٦٦: ٢٧٦) فكيف بمن كانت صفاته الغيرة والشهامة والإباء ومحبة العدل ومحاربة الظلم والفساد أن يبقى صامتاً تجاه طاغية ظالم لايعرف الرأفة والرحمة مجاهراً بالفسق والمنكرات، حتى كان خروج سليل النبوة أمراً بالمعروف وناشراً له، ناهياً عن المنكر ومحذراً منه.

٥.٢ أحقية آل البيت (ع) بالخلافة

العداء المستحفل القديم الحديث بين العلويين والأمويين نتيجة أحقية آل بيت النبوة بالخلافة وفي هذا الجو الصاخب وصلت أحداث واقعة الحرة إلى زيد بن علي (ع) (الشهرستاني، ١٩٩٩: ١٢٧) وهو في المدينة (اليعقوبي، د.ت: ج ٢، ٢٥٠) جعلت منه ناقماً على الأمويين، وروي انه دخل مسجد رسول الله (ص) فرأى جماعة من قريش قال لهم «أي قوم أنتم أضعف من أهل الحرة؟ فقالوا: لا، فقال لهم: فأنا أشهد أن يزيداً ليس شراً من هشام فمالكم» (ابن منظور، ١٩٨٥: ج ٩، ١٥٥).

يبدو أنّ مواقف زيد (ع) كانت معلومة لدى السلطات الأموية في دمشق فأصبحت ترى فيه خلفاً لجدهِ الحسين (ع) لاسيما وأنه أظهر الثأر لدمه الزكي، وعُرف عنه أنه الطالب بأوتار أهل البيت (ع) (عاشور، ٢٠٠٦: ج ١١، ١٦٢) وانتزاع الخلافة من الأمويين (ابن خلكان، د.ت: ج ٦، ١١٠)، فشاعَ هذا الموقف في المدينة بين الناس حتى استدعاه الطاغيه هشام بن عبد الملك ولم يأذن له بالدخول عليه (ابن منظور، ١٩٨٥: ج ٩، ١٥٥).

مكث أبي الضيم أيّاماً في دمشق لم يأذن له أحول بني أمية إذلالاً واحتقاراً له، ثم سمح له بعد أن أوصى من كان حاضراً في مجلسه بمقابلهِ بالجفاء والاحتقار وأن لا يردوا عليه السلام ولا يتركوا له موضعاً يجلس فيه (العاملي، ٢٠٠٠: ج ١١، ٢٧).

دخل سليل النبوة كالأسد فسلّم على الطاغيه فلم يرد السلام وألتفت إلى الحاضرين فرأى ما دُبرَ له فوجه سلاماً خاصاً إلى هشام قائلاً له: السلام عليك يا أحول، فانك ترى نفسك أهلاً لهذا الاسم (ابن منظور، ١٩٨٥: ج ٩، ١٥٦).

إنّ الطاغية هشام ليسَ أهلاً ليكون أميراً على المسلمين والمؤمنين وإنّما هو عبدٌ نذل لا يستحق أي لقب مشرف ويلاحظ أنّه عندما سمع قول زيد له بلا شك أنّه اتشط غضباً فكان الكلام عليه كالصاعقة فقد احتقره زيد أمام أوغاد أهل الشام، فقال له هشام وهو يتميز من الغيظ: أنت المؤهل نفسك للخلافة الراجي لها؟ وما أنت وذاك لا أُم لك وأنت ابن أَمه (الطبري، ٢٠٠٨: ج ٧، ١١٣) فاحتقره زيد واستهان به ورد عليه ببالغ الحجة قائلاً: إنّ الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات وإنّي لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند الله من نبي بعثه وهو ابن أَمة، فلو كان ذلك يقصر على منتهى غاية لم يبعثه وهو إسماعيل بن إبراهيم (ع) فالنبوة أعظم منزلة عند الله أم الخلافة يا هشام؟ (المقريزي، ١٩٨٧: ج ٢، ٤٣٨).

فقد أحول بني أمية صوابه وصاح به: ما يصنع أحوك البقرة؟ (العاملي، ٢٠٠٠: ج ١١، ٢٧) فردَ عليه زيد بمنطقه الغياض وقال له: سمّاه رسول الله (ص) الباقر، وتسميه البقرة، لشدّ ما اختلفتما لتخالفنه في الآخرة كما خالفته في الدنيا فيرد الجنة وترد النار (البخاري، ١٩٦٢: ٥٥).

لم يطق هشام الرد على زيد سوى أنّه أمر حرسه بضربه ثمانين سوطاً (ابن الجوزي: ٢٠٠٤: ٤١٩)، وقيل إنّه عندما خرج من مجلس هشام عزمَ على الثورة فقال: أخرج، ولا أكون إلّا بحيث تكره (الطبري، ٢٠٠٨: ج ٧، ١١٣). خرج زيد من المجلس وهو يقول: «ما كره قوم حرَ السيوف إلّا ذلوا» (ابن عنبه، د.ت: ٢٠٧)، فوصلت كلمته إلى هشام فقال: «ألستم تزعمون أنّ أهل البيت قد بادوا ! فلعمري ما انقرض مَن مثلُ هذا خلَفُهم» (ابن منظور، ١٩٨٥: ج ٩، ١٥٦).

لو قُلنا أنّ زيد خرج مطالباً بالخلافة فما الضير في ذلك فهو سليل النبوة ومن صميم الأسرة العلوية التي أختارها الله تعالى لهداية عباده وفضلها على الخلق أجمعين فمن أولى بالخلافة إذاً طاغية ظالم لا يملك أية مؤهلات للخلافة مخالفاً لكل ما جاء به رسول الإنسانية (ص) أم من تربى في حجر الأنبياء والأوصياء ينشر العدل ويرفع الظلم عن الناس أضف إلى ذلك أنّه كان يرى أن أهل البيت (ع) أحق بالخلافة من غيرهم.

كان الإمام زيد (ع) يدعو للرضا من آل محمد (المجلسي، ٢٠٠١: ج ١٩، ١٠٣) ولم يدّعِ ما ليس له فهوَ أتقى وأجل من ذلك اجتباه الله تعالى وخصه بمنزلة رفيعه وهو المخاطب بقوله تعالى: «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم» (الحج: ٧٨).

سادساً: اتهامه بأموال لخالد القسري (برواية الطبري وابن عساكر)

كانت السياسة العدائية التي أنتهجها هشام بن عبد الملك ضد العلويين عامه وضد زيد بن علي خاصة، فنجد أنّه تارةً يكيد لزيد ويحرجه وينكل به تارة أخرى (أبو زهرة، د.ت: ٤٩) كان من بين العوامل التي دفعت الشهيد الثائر للقيام بالثورة.

تذكر المصادر الإسلامية أنّ والي العراق يوسف بن عمر الثقفي ادعى أموالاً لوالي العراق السابق خالد بن عبد الله القسري فزجه بالسجن وعذّبه عذاباً شديداً تشفياً منه فكانت بينهما عداوة وبغضاء وبإيعاز من السلطة أتّهم القسري أو قيل على لسانه أنّه أودع عند زيد ستمائة ألف درهم وقد خان الأمانة (مسكويه، ٢٠٠٣: ج ٢، ٤٣٥)، حتى تلوّث بهذهِ الطريقة سمعة زيد.

ذكر المؤرخون صوراً مختلفة لهذا الحادث فقيل أنّ زيد وفد على هشام فقال له: إنّ خالد بن عبد الله القسري ذكر أن له عندك ستمائة ألف درهم (الكبيسي، ١٩٧٥: ١٩٠)، فقال زيد: ما لخالد عندي شيء (الأندلسي، ١٩٨٣: ج ٥، ٢٢٥)، وفي روايه أنّ زيد قال: كيف يودعني المال وهو يشتم آبائي على منبره (اليعقوبي، د.ت: ج ٢، ٣٢٥)، وإذا كنت مديناً له فليأتِ ويثبت ذلك عليّ، فقيل له: أنّ الوالي السابق مسجون ولا يستطيع المجيء (الحريزي، ٢٠١٠: ٨٤)، أُجبرَ زيد على الذهاب للكوفة من قبل هشام بن عبد الملك بقوله: لابدّ أنّ تشخص إلى يوسف بن عمر حتى يجمع بينك وبين خالد (العاملي، ٢٠٠٠: ج ١١، ٢٩). أنكر خالد أن تكون هناك وديعة لدى زيد وقال ليوسف بن عمر: مالي عنده قليل ولا كثير (الطبري، ٢٠٠٨: ج ٧، ١١٠)، كيف أودعه وأنا اشتم آباءه (مسكويه، ٢٠٠٣: ج ٢، ٢٠٨)، فما أردتم بإحضاره إلّا ظلمه (اليعقوبي، د.ت: ج ٢، ٣٢٥). غضب يوسف بن عمر وقال لخالد: أفبي تهزأ أم بأمير المؤمنين ؟! (يقصد به الطاغيه هشام بن عبد الملك؛ ← مثلاً: الأصفهاني، ٢٠٠٦: ١٣١) وضربه حتى خشي عليه الهلاك (الشامي، ١٩٧٤: ٩١)،

فقال زيد لخالد: ما الذي دعاك إلى ذلك؟ قال: شدة العذاب ورجوت به الفرج (ابن الجوزي: ٢٠٠٤: ٤١٩).

يتّضح من ذلك أنّ براءة زيد ثابته عند القسري وعند يوسف بن عمر وهشام بن عبد الملك وإنّما أرادوا من اتهامه التنكيل به والحط من شأنه، أمّا خالد القسري فكان تحت التعذيب وأراد الخلاص من شدّة الضرب ولو لفترة من الزمن فهو يعلم أنّ زيد في المدينة والوقت يطول لحين وصوله إلى الشام ومن ثم إلى العراق.

٦.٢ أحداث العداوة بين زيد و الحسنيين

شاع الحديث بين الناس عن مكانة زيد وفضله وسمو ذاته فخافت السلطة من قيامه بثورة ضدهم فأخذت تدبّر المؤامرات للنيل منه والتقليل من أهميته فحاولت أحداث عداوة بينه وبين الحسنيين لإسقاط مكانتهم اجتماعياً (الشامي، ١٩٧٤: ٨٦)، فعمد والي المدينة خالد بن عبد الملك إلى الجمع بينهما بقصد إحداث نزاع وتشاتم وتنافر بين الفرعين الحسني والحسيني أي بين زيد بن علي (ع) وأبناء عمومته (داوود: د.ت: ١٨٢)، فحدث الخلاف بداية بين جعفر بن الحسن بن الحسن وزيد بن علي حول أوقاف الإمام علي (ع) في المدينة (البلاذري، ١٩٩٦: ج ٣، ٤٢٨)، وبعد أنّ أحس زيد بما يدبره له الوالي من مشاكل خاطب ابن عمه عبد الله بن الحسن بن الحسن قبل أن يتكلم فقال له: «لا تعجل يا أبا محمد، أعتق زيداً ما يملك أن خاصمك إلى خالد أبداً» (السحمراني، ٢٠٠٢: ٢٩١).

يبدو جلياً إنّ هناك ارتباط وثيق للسلطة بما حدث بين السادة العلويين من تنافر حول أوقاف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، تلك السلطة حاولت جاهدة أن تظهر للناس أنّ العلويين يسعون من أجل الدينار والدرهم ويطلبون الدنيا بذلك لتشويه صورتهم ومكانتهم لدى الناس.

انتهى خلاف زيد مع أولاد الحسن (ع) بشأن الأوقاف، وذهبت جهود الأمويين سداً لنواياهم السيئة ضد آل بيت النبوة الذين يحضون بتأييد وتسديد إلهي.

٧.٢ البيئة المناسبة للثورة

لعلّ من أهمّ الحقائق إنّ مدينة الكوفة تنتمي إلى خط أهل البيت (ع) منذ أن اتخذها الإمام علي (ع) مقراً سياسياً لحكومته وأصبحت بعد شهادته قاعدة معارضة للحكم الأموي فهي المدينة الوحيدة التي زخر تاريخها السياسي بالمواجهة للنظام الأموي الغاشم، هذه الصفة التي تميزت بها مدينة الكوفة قد أدركها الكثير من الحكام الأمويون وسائر فئات المعارضة (حاتم، ١٩٩٥: ٦٥)، فأختارها البطل المجاهد زيد مكاناً ومقراً لإعلان الثورة ضد الحكم الأموي (الصلابي، ٢٠٠٦: ج ٢، ٦٢٦).

كانت الكوفة البيئة المناسبة للثورة وفيها أتباع أهل البيت (ع) المؤيدون لأحقيتهم بالخلافة، الكارهون لحكم بني أمية، الأمر الذي جعل الشيعة يطالبون زيداً بالخروج ويقولون إنا نرجو أن يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بني أمية (الطبري، ٢٠٠٨: ج ٧، ١١٣).

حقّق الله تعالى أمنية زيد في طلب الإصلاح ورفع راية الإسلام فقال أثناء ذلك: الحمد لله الذي أكمل لي ديني (البخاري، ١٩٦٢: ٥٨). أرسل أهل الكوفة العديد من الرسائل لزيد يدعونه إليهم وقد تعاهدوا على نصرته، الأمر الذي شجع زيد على اختيار الكوفة لكثرة مؤيديه (الأصفهاني، ٢٠٠٦: ١٣٢)، وأنصاره، وقد انتاب أهل الكوفة إحباط بعد واقعة كربلاء نتيجة موقفهم مع الإمام الحسين (ع) نتج عنه شعور كبير بالذنب فحدثت عدة ثورات عقب شهادة أبي الأحرار لكنها لم تتمكن من إسقاط الحكم الجائر (أبو زهره، د.ت: ٦٤).

اعتاد الأمويون على تولية القساة والظالمين على الكوفة فأساءوا معاملة أهلها إضافة إلى حرمانهم من الفيء والعطاء وكثيراً مما كان يتمتع به أهل الشام (ابن خلدون: ٢٠٠٣: ج ٣، ١١٨).

جاء اختيار زيد للكوفة نقطة انطلاق للثورة يعكس مقدار وعيه لدور الكوفة وقدرتها على إشعال الثورة (حسن، ٢٠٠٢: ٥٣).

٣. أحداث الثورة ونتائجها

١.٣ الدعوة للثورة في الكوفة

استقرّ زيد بن علي في الكوفة حيث الأوضاع الملائمة للخروج على السلطة الأموية بعد

مطالبة أهل الكوفة له بالخروج، وقالوا له: «أين تخرج عنا ومعك مائة ألف سيف يضربون بني أمية بها دونك» (العسقلاني، ٢٠٠٢: ج ٨، ٦٦)، وأعطوه العهود والمواثيق وكانوا يأملون أن يكون بخروجه هلاك بني أمية (ابن الجوزي: د.ت: ج ٧، ٢٠٩).

دعا زيد إلى الثورة واستهوت دعوتهِ هذه الناس على اختلاف أهوائهم وميولهم، فكانت تدعوا إلى «كتاب الله وسنة نبيه (ص) وجهاد الظالمين والدفاع عن المستضعفين واعطاء المحرومين ورد المظالم ونصرة أهل البيت (ع) على من نصب لهم وجهل حقهم» (مسكويه، ٢٠٠٣: ج ٢، ٤٣٧)، بالتأكيد سيؤيدون الثورة لكونها ثورتهم وترفع الظلم عنهم وتعيد لهم حقوقهم وهذا ماكانوا يرجونه من طلبهم من زيد بالقيام بالثورة.

يظهر أنّ دعوة زيد للثورة في الكوفة كانت أوّل دعوة علوية نهجت نهجاً سرياً في نشر مبادئها، فقد استفاد زيد من الحركات الثورية التي سبقته كثورة الإمام الحسين (ع) الذي اعتمد على كتب ومواثيق أهل الكوفة قبل أن يراهم وبمجيئه إلى العراق رأى خذلانهم له فأحتج عليهم بكتبهم التي بعثوا بها إليه (طهبوب، ٢٠٠٤: ٤٤)، فقال زيد مخاطباً أهل الكوفة: «إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني لفعلكم بأبي وجدي» فحلفوا له وأعطوه العهود والمواثيق الكثيرة بنصرته وعدم خذلانه (مسكويه، ٢٠٠٣: ج ٢، ٤٣٦).

٢.٣ البيعة لزيد

تذكر المصادر أنّ الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) كان يحث أتباعه على مبايعة زيد (الحائري، ١٤٢٥: ١٤١)، وروي عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: لقد استشارني زيد في خروجهِ فقلت له: ياعم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك، ولما غادر زيد مجلسه قال: ويل لمن سمع واعية فلم يجبه، وكان دائماً يقول: مضى والله زيد عمي وأصحابه شهداء مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب والحسن والحسين (ع)، وقد بكى عليه كثيراً ولعن قاتله (المجلسي، ٢٠٠١: ج ١٩، ١٠٢).

قامت بيعة زيد بن علي على عدة أسس منها أحياء العمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه (ص) ونصرة آل بيت رسول الله (ص) وتجريد السيف ومجاهدة الحكام الجائرين وإنصاف المظلومين،

وتوزيع العطاء والفيء على المسلمين بالتساوي وإعادة الناس المهجرين من قبل بنو أمية إلى ديارهم (المحلي، ٢٠٠٢: ١٥). تذكر الروايات إن زيداً بايع الناس بقوله «إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص) وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وإقفال المجمر ونصرة أهل البيت (البلاذري، ١٩٩٦: ج ٣، ٤٣٤)، فإذا قالوا: نعم، وضع يد الرجل على يده ويقول: عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفين ببيعتي ولتقاتلن عدوي ولتنصحن في السر والعلانية، فان قالوا: نعم، مسح بيده على يده ثم قال: اللهم أشهد» (المقريزي، ١٩٨٧: ج ٢، ٤٣٩).

وقد بايعه من الفقهاء أبو حنيفة النعمان بن ثابت والفقيه القاضي عبد الله بن شبرمه بن طفيل وسليمان بن مهران الأعمش، ومسعر بن كدام وسعيد بن خيثمه وسلمه بن ثابت، وقيس بن الربيع الذي بايعه ثم خذله، والقاضي الحسن بن عماره بن المضرب والمحدث أبو الحصين عثمان بن عاصم بن الحصين، وبايعه أيضاً الفقيه يزيد بن أبي زياد القرشي الهاشمي والفقيه الحسين بن سعيد وأبي خالد الواسطي (الأصفهاني، ٢٠٠٦: ١٣٣)، وغيرهم الكثير، وبايعه أيضاً من النساء أم عمر بنت الصلت وأمراة تدعى أم خالد التي قطع يوسف بن عمر يدها (البلاذري، ١٩٩٦: ج ٣، ٣٠٢)، حتى قيل إنّ عدد المبايعين له بلغ خمسة عشر ألفاً (الهاشمي، د.ت: ١٥).

مكث زيد في الكوفة لأشهر وهو مستتر يأوي تارةً إلى دور الأزد وتارة أخرى إلى أصهارهِ المسلمين وفي دورهِ بني عبس وبني نمير وبني تغلب وغيرهم (الطبري، ٢٠٠٨: ج ٧، ١١٧)، متوخياً أقصى درجات الحيطة والحذر والكتمان خشيةً من عيون والي العراق يوسف بن عمر الذي ينوي التخلص منه أن وصلُ إليه خبر بوجود زيد في الكوفة، خوفاً من التفاف الكوفيين حوله.

٣.٣ غدر أهل الكوفة بزيد

لم يفلح والي الكوفة في رصد تحركات زيد بن علي (ع) طيلة الشهور التي قضاها في الكوفة وكتب إليهِ هشام بن عبد الملك موبخاً له «إنّ رجلاً من بني أمية كتب إليّ باجتماع أهل

الكوفة على زيد ولقد تعجبت من غفلتك وجهلك، فأرسل في طلبهِ وأعطهِ الأمان فان لم يقبل فقاتله» (المقريزي، ١٩٨٧: ج ٢، ٤٣٩).

كان يوسف بن عمر مقيماً في الحيرة فكتب إلى نائبهِ على الكوفة الحكم بن الصلت ليتعقب زيد ولكنهُ لم يُفلح (الطبري، ٢٠٠٨: ج ٧، ١١٢)، وقد نجح سليمان بن سراقه البارقي في كشف أمر زيد (ابن الاثير، ٢٠٠٤: ج ٤، ٤٣٧)، وأخبر يوسف بن عمر بأنه في دار معاوية بن إسحاق، فكبس الدار عليه غير انه فشل في إلقاء القبض على زيد بعد أن غادرها قبل وصولهم بلحظات (الطبري، ٢٠٠٨: ج ٧، ١٣٤).

عجّل زيد بالخروج والثورة، فخرج لسبع بقين من المحرم سنة ١٢٢هـ بعد أن كان من المقرر الخروج ليلة الأربعاء غرّة شهر صفر (المجلسي، ٢٠٠١: ج ١٩، ١٠٤)، أي إنه خرج قبل موعدهِ المقرر بأسبوع.

أتّخذ يوسف بن عمر إجراءات احترازية قاسية ومنها إغلاق أبواب الكوفة ومحاصرتها لمنع دخول المناصرين للثورة، وأصدر أمراً بجمع الناس في المسجد الجامع في الكوفة ووضعهم تحت حراسة الجند الشامي الذين أرسلهم هشام له (الأصفهاني، ٢٠٠٦: ١٤٣)، كان ذلك قبل يوم من موعد الثورة واصدر أمراً جاء فيه: «أيما رجل من العرب والموالي أدركناه في رحبة المسجد فقد برئت منه الذمة» (العاملي، ٢٠٠٠: ج ١١، ٣٢)، ومكث أهل الكوفة ثلاثة أيام في المسجد يؤتى من منازلهم الطعام تحت الحراسة المشددة (ابن عساكر، ١٩٨٥: ج ١٩، ٤٧٢).

دعا زيد إتباعهُ إلى القتال ليلة الأربعاء وكانت ليلة مضلمه شديدة البرد (ابن كثير، ٢٠٠٦: ج ٩، ٢٥٩٦)، وسارَ بهم نحو المسجد بعد أن أوقد أصحابه النيران إيذاناً بالقتال لتخليص أتباعه من الحصار الذي فرض عليهم (العاملي، ٢٠٠٠: ج ١١، ٣٣)، ونادى بشعار رسول الله (ص) «يا منصور أمت» (ابن كثير، ٢٠٠٦: ج ٩، ٢٥٩٦)، وقد بلغ عدد أصحابه ٢١٨ رجلاً (ابن الاثير، ٢٠٠٤: ج ٤، ٣٤٨)، وقيل خمسمائة رجل (المصدر نفسه: ج ٤، ٣٤٨).

بعد ان بايعه من أهل الكوفة وحدها خمسة عشر ألف رجل (ابن عنبه، د.ت: ٢٠٧)،

وبعد تخلفهم عنه قال: سبحان الله أين الناس؟ قيل له: محصورون بالمسجد، فقال: لا والله ماهذا لمن بايعنا بعذر (ابن الجوزي، ٢٠٠٤: ٤٢٠).

٤.٣ القتال في شوارع الكوفة

عندما تيقّن زيد من خذلان الكوفيين له نظم كتائبه واستعد للقتال، فلما خفقت راياته رفع يديه إلى السماء وقال: «الحمد لله الذي أكمل لي ديني والله ما يسرني إني لقيت محمد (ص) ولم آمر في أمتهِ بالمعروف ولم انههم عن المنكر والله ما أُبالي إن أقمت كتاب الله وسنة رسوله إن تأججت لي نار ثم قذفت فيها ثم صرت بعد ذلك برحمة الله والله لا ينصرني أحد إلّا كان في الرفيق الأعلى مع محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) وَيحَكُم أما ترون هذا *القرآن* بين أظهركم جاء به محمد ونحنُ بنوه» (ابن عنبه، د.ت: ٢٠٧).

خاطب زيد أهل الكوفة يدعوهم إلى الجهاد ووصف حال الدين في عهد بني أميه قائلاً: ويحكم إنّ الله فرض عليكم جهاد أهل البغي والعدوان من أمتكم على بغيهم، وفرض نصرة أوليائه الداعين إلى الله وكتابه (المجلسي، ٢٠٠١: ج ١٩، ١٠٣)، وقال: «ولينصرن الله من ينصره إنّ الله لقوي عزيز» (الحج: ٤٠)، وبعد إن تيقن من خذلانهم قال: فعلتموها حسينية (الأصفهاني، ٢٠٠٦: ١٣٦)، الله حسيبكم (الطبري، ٢٠٠٨: ج ٧، ١٢٤).

يمكن أن نعزو السبب في هذا الانقلاب المفاجئ لأهل الكوفة وتخاذلهم عن الوفاء لزيد إلى أنّ الكوفة في عهد الأمويين كانت دوماً مسرحاً للأحداث والتقلبات السياسية الأمر الذي أدّى إلى تراكمات سلبيه انعكست على الأوضاع النفسية لأهل الكوفة بفعل تأثير عامل الخوف والبطش الأموي، وليس ببعيد عنهم مافعله ولاة الأمويين أمثال الحجاج بن يوسف الثقفي وزياد بن أبيه وأبنه عبيد الله وغيرهم، أضف إلى ذلك إنّ سياسة يوسف بن عمر في مواجهة ثورة زيد والزج بعناصره بهدف بث الإشاعات وإضعاف الروح المعنوية عند أهل الكوفة وإثارة القلاقل والفتن بين صفوف أتباع زيد ومؤيديه مستخدماً أسلوب الرعب والتخويف من جهة وبذل الأموال من جهة أخرى، كلّ ذلك لغرض أن يبعد أتباع زيد عن نصرتهِ ليقتل الثورة قبل إعلانها.

وأخيراً أشتبك زيد بقواتهِ مع الجيش الشامي المحاصر للمسجد وعلى الرغم من قلة عدد أنصاره فقد رجحت كفتهِ في بداية القتال وانهزم الجيش الشامي (ابن عنبة، د.ت: ١٢٥)، غير إن فقدانه لخيرة أنصارهِ قد أبان الضعف في صفوف قواتهِ لاسيما بعد وصول الإمدادات إلى يوسف بن عمر، فقد أرسل له هشام بن عبد الملك أعداد كبيرة من المقاتلين فرجحت كفة يوسف بن عمر بعد هروب الكثير من أنصار زيد في الليل وتفرقهم عنه (ابن خلكان، د.ت: ج ٦، ١١٠).

كان الإمام زيد (ع) يجول في ميدان القتال وهو ينشد (المسعودي، ٢٠٠٠: ج ٣، ٢٣٠):

أذل الحياة وعز الممات وكلاً أراه طعاماً وبيلاً

فإن كان لابد من واحدٍ فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

أخذ زيد يحرض أصحابهُ على الشهادة والدفاع عن الإسلام حتى نصح جيشه قائلاً: «وقد كنت نهيتكم أن لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا باباً مغلقاً،...» (ابن حمدون، ١٩٩٦: ج ٦، ١١٨)، لم يرَ الناس مثله في شجاعتهِ وقوة بأسهِ ولم تضعف عزيمتهِ قلة أنصاره وضخامة جيش عدوه فقد كان يحسبهم كالحشرات يحصد رؤوسهم بسيفه ويذيقهم المذلة والهوان، واصل الإمام زيد سيرته الجهادية حتى فجع بقتل دعاته وأصحابه وقد حمل على أعداء الله وأعداء رسوله سيفرون فرار المعزى إذا شدّ فيها الأسد، وقتل منهم ما يقارب سبعين رجلاً (العاملي، ٢٠٠٠: ج ١١، ٣٤).

أخذت السهام تتوالى على أصحاب زيد كالمطر حتى استشهد الكثير منهم، وأُصيب زيد بسهم في جبينه (المسعودي، ٢٠٠٠: ج ٣، ٢٣٠)، سقط الشهيد زيد على الأرض كما تهوي النجوم.

٥.٣ استشهاد زيد

انتهت المعركة بمصرع الحق اثر إصابتهِ بسهم في جبينه، وحمله أصحابه وهم يضجون بالبكاء والنحيب فأدخلوه بيت حران بن كريمه (الطبري، ٢٠٠٨: ج ٧، ١٢٦)، وأحتضنه ولدهُ يحيى، وهو يبكي أمّر البكاء. وقال له: أبشر يا أبتاه فانك ترد على رسول الله (ص) وعلي وفاطمة

والحسن والحسين (صلوات الله عليهم)، وهم عنك راضون (البخاري، ١٩٦٢: ٥٨)، أجابه أبوه بصوت خافت قائلاً: صدقت، فأيّ شيء تصنع؟ فقال: أقاتلهم والله ولو لم أجد إلا نفسي، أبتهج زيد وقال له: يابني، جاهدهم فوالله إنك على حق وإنهم على باطل، وإنّ قتلاك في الجنة، وقتلاهم في النار (المجلسي، ٢٠٠١: ج ١٩، ١٠٢).

كان الشهيد الثائر زيد حتى النفس الأخير من حياته يؤكد على ضرورة مناهضة الأمويين الطغاة الذين لا يرجون لله وقاراً، لم يتركوا محرماً إلا وفعلوه ولا نفساً بريئة إلا وأزهقوها، فكان هذا حال الإمام زيد في آخر لحظات حياته.

دعوا بطبيبٍ لمعالجتهِ فاخبرهم انه متى ما رفع السهم منه فارق الحياة حتى قال له البطل العلوي زيد: الموت أهون عليّ مما أنا فيه، وقد بادر الطبيب وانتزع السهم منه، وفاضت روحه الزَكية (العاملي، ٢٠٠٠: ج ١١، ٣٤)، وأُخمدت تلك الأنوار التي أضاءت في سماء الشرق لتنير العقول وتهذب النفوس وتقيم منار العدالة وتقضي على الظلم والطغيان.

٦.٣ مواراة جثمان زيد

اختلف أصحاب زيد في مواراة جثمانه الطاهر فمنهم من قال أطرحوه في الماء بعد تلبسه بدرعه (ابن الاثير، ٢٠٠٤: ج ٤، ٣٠)، وهناك رأي يقول بجز رأسه الشريف وطرح جثته بين القتلى حتى لايتعرف عليه الأعداء (ابن كثير، ٢٠٠٦: ج ٩، ٢٥٩٦)، فلم يوافق ولدهِ يحيى على ذلك، ورأي آخر قال بدفنهِ في نهر وإجراء الماء عليه، فوافق الجميع على ذلك وذهبوا بالفعل إلى النهر وسدّوا جانبيهِ وحفروا له قبراً وواروا الجسد الطاهر فيه ثم أجروا عليه الماء (ابن عساكر، ١٩٨٥: ج ١٩، ٤٧٢).

٧.٣ إخراج الجسد الطاهر وصلبه

راح الطاغي الأموي يوسف بن عمر يفتش عن الجثمان الطاهر لزيد ليتشفى به تقرباً إلى حاكم الشام الطاغية هشام، فأخبره الطبيب الذي أخرج السهم من جبينه بمحل دفنهِ لأنه كان حاضراً، وقيل غلامهُ السندي هو من أخبر عنه (ابن عنبه، د.ت: ٢٠٨).

أخرجوا الجثمان المقدس وألقوهُ على باب قصر الإماره، وأمر الطاغية بحز رأسهِ (الدينوري، ١٣٧٩: ٣٤٤) وأرسلهُ إلى أحول بني أُميه ففرح بذلك وأمر الأرجاس من جُلسائه بوضع أحذيتهم على الرأس الشريف حتى راحوا يطأونه بها.

أمر يوسف بن عمر بصلب الجثمان المقدس ووضع مفرزه من الشرطة لحراستهِ خوفاً من أن يُسرق ويدفن، وقد رأى الموكل بحراسة الجثمان المقدس النبي (ص) في منامهِ واقفاً على الخشبة التي صلب عليها زيد وهو يقول: «هكذا تصنعون بولدي من بعدي، يابني يازيد، قتلوك قتلهم الله، صلبوك صلبهم الله» (ابن عنبه، د.ت: ٢٠٩).

بقي الجسد الطاهر زمناً طويلاً على الخشبة حتى عشعشت الفاخته في جوفهِ، فقيل انه بقي سنة وأشهر (الذهبي، ١٩٩٦: ج ٦، ١٨٤)، وقيل سنتين (ابن كثير، ٢٠٠٦: ج ٩، ٢٥٩٦)، وقيل أربع سنين (المجلسي، ٢٠٠١: ج ١٩، ١١٠)، اغلب المرويات التاريخية تذكر انه بقي مصلوباً أربع سنين بحكم شهادتهِ سنة ١٢٢هـ حتى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ حين أمر بإنزاله وحرقه، وبإمعان النظر نجد إن فترة كهذه تطول لايمكن تصور الجسد الطاهر وهو مصلوب طوال تلك السنين متعرضاً لمتغيرات الطبيعة من شدة برد وحرارة شمس إلا انه من الإنصاف القول انه بقي لأشهر معدوده لا لسنوات طوال.

ومهما يكن من أمر فأن الحقد الدفين على العلويين بلا شك جعلهم يبقون الجسد الطاهر مصلوباً معلقاً على الخشبة لفترة طويلة من الزمن ظناً منهم إنهم بذلك يحطون من كرامة الشهيد زيد في نفوس المسلمين ولم يعلموا إن كل ذلك رفعه إلى أعلى مستويات الصالحين.

٨.٣ حرق جثمان زيد

بقي الشهيد الخالد زيد بن علي (ع) مصلوباً حتى تولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الحُكم فكتب إلى يوسف بن عمر يأمرهُ بحرق الجسد المقدس، وبالفعل نفذ الباغي يوسف بن عمر أوامر سيدهِ فأوعز إلى خراش بن حوشب بإنزال الجثمان المقدس من الخشبة وإحراقهِ بالنار (الأصفهاني، ٢٠٠٦: ١٣٩).

أحرق الجثمان المقدس بالنار ودق عظامه بالهواوين وذرّ في ماء الفرات، وعقب عمله المشين هذا بقوله: ليشربه العراقيون (ابن خلكان، د.ت: ج ٦، ١١٠).

٩.٣ التصرف برأس زيد

عمد أحول بني أميه الطاغية هشام بن عبد الملك إلى رأس زيد بن علي ونصبه على باب دمشق، إظهاراً لجبروتهِ وبطشه بأبناء النبي (ص) ثم بعث به إلى المدينة ونُصِبَ عند قبر الرسول الأكرم (ص) حتى ضجت المدينة بالبكاء والنحيب (ابن الجوزي، ٢٠٠٤: ٤٢١).

لم يتوقف الطاغية الأموي عند هذا الحد فحسب فقد بعث برأس الشهيد زيد إلى مصر لإظهار قدرتهِ وسعت نفوذهِ في قهرهُ لعترة رسول الله (ص) وَنَصَبَ الرأس المقدس بالجامع والناس يضجون بالعويل والبكاء على ماحل بالعترة النبوية من عظيم الرزايا، قام جماعة من المصريين بسرقة الرأس الشريف ودفنوه في مسجد هناك (العاملي، ٢٠٠٠: ج ١١، ٣٦)، بلا شك أصبح ذلك المكان مقدساً يتوافد إليه الناس لزيارتهِ.

لم يحظَ كل من عادى لآل بيت النبوة (ع) بحياة هانئة، فقد روي عن الإمام الصادق (ع) إنّه قال: «إنّ آل أبي سفيان قتلوا الحسين بن علي (ع) فنزع الله ملكهم، وقتل هشام زيد بن علي فنزع الله ملكه» (الصدوق، د.ت: ٢٦١).

١٠.٣ لوعة الشيعة

حزنت الشيعة حزناً عميقاً على ماجرى على سليل النبوة من المآسي بعد شهادتهِ من إخراجه من قبرهِ وصلبهِ وإحراقه، وقد بكاهُ شعراء الشيعة بكاءاً مرّاً ورثوه بأشجى الوان الرثاء، ومنهم الفضل بن عبد الرحمن بقوله (البلاذري، ١٩٩٦: ج ٣، ٤٥٠):

ألا ياعين لاترقي وجودي — بدمعك ليس ذا حين الجمودِ
غداة ابن النبي أبو حسين — صليبٌ بالكناسة فوقَ عودِ
تعدى الكافر الجبار فيهِ — فأخرجه من القبر اللحيدِ
فظلوا ينبشون أبا حسين — خضيباً بينهم بدمٍ جسيدِ

٤. النتائج

وبعد، فقد كانت تلك دراسة متواضعة عن سيرة الشهيد زيد بن علي (رض) وثورته ضد طغاة بني أمية، وقد حاولنا في تلك الدراسة قدر الإمكان دراسة أهمّ الأسباب التي أدّت إلى اندلاع تلك الثورة ومن ثم متابعة سير أحداث الثورة وأهمّ النتائج التي تمخضت عن تلك الثورة، وكانت نتائج تلك الدراسة على النحو الآتي:

– اتضح أنّ من أسباب ثورة زيد بن علي هي نيته في طلب الإصلاح في الأمة الإسلامية بعد أن انحرفت عن مسارها، كما أنّ زيد خرج أيضا ثأرا لدم الإمام الحسين (ع) بوصفه سليل البيت النبوي الشريف، فضلا عن حرصه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أمة انشغلت بملذات الحياة الدنيا وتركت العمل للأخرة.

– كان من نتائج تلك الثورة أن استشهد زيد بن علي وصلب، كما نكل بأصحابه واتباعه، واجهضت كلّ المحاولات للإطاحة بالحكم الأموي يومئذ، كما كانت ثورة زيد من ضمن المعاول التي أنهكت الحكم الأموي، إذ زادت الهوة بين أهل العراق والحكم الأموي الجائر مما ساعد في انهاك الحكم الاموي وسقوطه مبكرا.

–كان زيد بن علي هو صاحب فكرة الخروج على الحكم الأموي، وهو إنّ لم يخرج في المدينة وخرج في الكوفة فلأن الكوفة كانت مقر الآلة العسكرية، ووجود الانصار والاتباع من شيعة أهل البيت (ع)، فضلا عن تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية في العراق ولاسيما الكوفة الأمر الذي كان يساعد على الانتفاض بوجه الحكم الأموي الجائر.

اتضح من خلال الدراسة أنّ زيد لم يخرج طلبا لسلطة معينة بقدر ما أنه خرج لطلب الإصلاح وتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وثأرا لدم جده الإمام الحسين (ع).

والموضوع والحق يقال موضوع واسع وكبير وهو يستحق أن يكون دراسة أكاديمية كبرى لمن يرون ذلك من الباحثين.

المصادر

القرآن الكريم.

ابن أبي الحديد المعتزلي، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٢٠٠٧م). *شرح نهج البلاغة*، التحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، بغداد: دار الكتاب العربي.

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (٢٠٠٤م). *الكامل في التاريخ*، التحقيق: علي شيري، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (د.ت). *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، التحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العملية.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (١٩٩٥م). *تقريب التهذيب*، التحقيق: صدقي جميل العطار، بيروت: دار الفكر.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (٢٠٠٢م). *لسان الميزان*، التحقيق: عبد الفتاح أبو غدّه، ط ١، بيروت: دار البشائر الإسلامية.

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (١٩٩٦م). *التذكرة الحمدونيه*، التحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، ط ١، بيروت: دار صادر.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٢٠٠٣م). *العبر وديوان المبتدأ والخبر*، ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية.

أبن خلكان، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (د.ت). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، التحقيق: إحسان عباس، بيروت:دار صادر.

أبن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (د.ت). *الطبقات الكبرى*، بيروت: دار صادر.

ابن شهر أشوب، أبي جعفر بن علي بن شهر أشوب السروي المازندراني (د.ت). مناقب آل أبي طالب، التحقيق: يوسف بقاعي.

أبن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد (١٩٨٣م). *العقد الفريد*، التحقيق: عبد المجيد الترحيني، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية.

أبن عساكر، أبي علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (١٩٩٥م). *تاريخ مدينة دمشق*، التحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، بيروت: دار الفكر.

ابن عنبه، أحمد بن علي الداودي الحسني (د.ت). *عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب*، التحقيق: نزار رضا، بيروت: مكتبة الحياة.

ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٢٠٠٥م). *البداية والنهاية*، التحقيق: سهيل زكار، ط ١، بيروت: دار صادر.

ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٨٥م). *مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر*، التحقيق: نسيب نشاوي، ط ١، دمشق: دار الفكر.

أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين بن محمد القرشي (٢٠٠٦م). *مقاتل الطالبين*، التحقيق، أحمد صقر، ط ٤، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

أبو زهرة، محمد (د.ت). *الإمام زيد*، القاهرة: دار الفكر العربي.

أبي نصر البخاري، سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان ابن أبان بن عبد الله (١٩٦٢م). *سر السلسلة العلوية*، التحقيق: محمد صادق بحر العلوم، ط ١، النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (١٩٩٦م). *أنساب الأشراف*، التحقيق: سهيل زكار و رياض زركلي، ط ١، بيروت: دار الفكر.

حاتم، نوري (١٩٩٥م). *زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت*، ط ٢،بيروت: مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

الحائري، محمد مهدي (١٤٢٥ق). *شجرة طوبى*، ط ١، دار الفقه للطباعة والنشر.

الحريزي، فارس رزاق علوان (٢٠١٠م). *صقر قريش زيد بن علي*، ط ١، النجف الأشرف: دار الأندلس للمطبوعات.

حسن، ناجي (٢٠٠٢م). *ثورة زيد بن علي*، ط ١، بيروت: الدار العربية للموسوعات.

الدينوري، أبي حنيفة احمد بن داود (١٣٧٩هـ). *الأخبار الطوال*، التحقيق: عبد المنعم عامر، ط ٢، قم المقدسة: المكتبة الحيدرية.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (١٩٩٦م). *سير أعلام النبلاء*، التحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، ط ١، بيروت: دار الفكر.

زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب (ع) (١٩٦٦م). *مسند زيد*، بيروت: دار مكتبة الحياة.

السحمراني، أسعد (٢٠٠٢م). *موسوعة الأديان الميسرة*، ط ٢، بيروت: دار النفائس.

الشامي، فضيلة عبد الأمير (١٩٧٤م). *تاريخ الفرقة الزيدية بين القرنين الثاني والثالث للهجرة*، ط ١، النجف الأشرف: مطبعة الآداب.

الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (١٩٩٩م). *الملل والنحل*، التحقيق: صدقي جميل العطار، ط ١، بيروت: دار الفكر.

الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٢٠٠٥م). *عيون أخبار الرضا*، التحقيق: حسين الأعلمي، ط ٢، بيروت: مؤسسة الأعلمي.

الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (د.ت). *ثواب الأعمال وعقاب الأعمال*، التحقيق: حسين الأعلمي، ط ٨، قم المقدسة.

الصلابي، علي محمد محمد (٢٠٠٦م). *الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار*، ط ١، بيروت: دار ابن كثير.

الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (٢٠٠٨م). *تاريخ الرسل والملوك*، التحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

طهبوب، صلاح (٢٠٠٤م). *موسوعة التاريخ الإسلامي العصر الأموي*، ط ١،عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.

العاملي، محسن الأمين (٢٠٠٠م). *أعيان الشيعة*، التحقيق: حسن الأمين، ط ٥، بيروت: دار التعارف.

الكبيسي، عبد المجيد محمد صالح (١٩٧٥م). *عصر هشام بن عبد الملك*، بغداد: مطبعة سلمان الأعظمي.

المجلسي، محمد باقر (٢٠٠١م). *بحار الأنوار*، التحقيق: محمود درياب، ط ١، بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

المحلي، حميد بن أحمد بن محمد (٢٠٠٢م). *الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية*، التحقيق: المرتضى بن زيد المحطوري الحسني، ط ٢، صنعاء: مركز بدر للطباعة والنشر.

المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (٢٠٠٠م). *مروج الذهب ومعادن الجواهر*، التحقيق: عبد الأمير علي مهنا، ط ١، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

مسكويه، أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب (٢٠٠٣م). *تجارب الأمم وتعاقب الهمم*، التحقيق: كسروي حسن، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية.

المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (١٩٨٧م). *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف ب (الخطط المقريزية)*، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

الهيتمي، أحمد بن حجر (د.ت). *الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة*، التحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، القاهرة: مكتبة القاهرة.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكتاب (د.ت). *تاريخ اليعقوبي*، بيروت: دار صادر.

يونس، صاحب (٢٠٠٢م). *معاوية بن أبي سفيان في الكتاب والسنة والتاريخ*، ط ١، دمشق: دار العلوم.